قبل أن نبدأ

رحلتنا أيها الأحباب رحلة قلوب،لا رحلة أبدان ، والقلوب صنفان : قلب كالحجارة أو أشد ، وهذا لن يجد الآن مكانا بيننا ، ولكن لا يفقد الأمل ، فالأحوال تتغير ، والأمور تتبدل ، والقلب أسرع تقلبا من القدر إذا استجمعت غليانا ، وشقي اليوم تقي غدا ، ولا تنس الفضيل ، وانتظر وتهيأ لرحلة قادمة .

وقلب إذا ذكر الله عز وجل وجل وخفق ، واطمئن وسكن ، عرف الطريق فلزمها ، فصاحبه خير رفيق علي أفضل طريق ، فراجع نفسك ، وتحسس قلبك وتأكد قبل أن تحجز مقعدك أنك أهل لهذه الرحلة.

ورحلتنا أيها الأحباب للأحياء لا للأموات ، فالناس صنفان : حي جعل الله له نورا يمشي به في الناس . وهذا قد حجز مكانه هنا ، واستلم تأشيرة السفر ، وميت يخبط في الظلمات ليس بخارج منها ، وهذا أبواب الرحله دونه موصدة ، ومطاياها عنه مبعدة ، لكني أناشده ألا يتوقف عن محاولة اللحاق بنا . وأذكره بقول الله تعالي : ﴿اعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يُحْيِي الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾ [الحديد:17] فالله سبحانه وتعالي يخرج الحي من الميت ، فلعله يولد من جديد وأسباب الميلاد كثيرة وما ذلك علي الله بعزيز .

إن رحلتنا أيها الأحبة : كما قال العبد الصالح يحيي بن معاذ : لا تقطع بالأقدام . ولكنها تقطع بالقلوب ، أو بتعبيره هو : مفاوز الدنيا تقطع بالأقدام . ومفاوز الآخرة تقطع بالقلوب ولله دره قال حقيقة ونطق صدقا ، ونحن الآن سننطلق في رحلة نحو الآخرة ، ولهذا نحتاج أخي الكريم إلي قلبك لا إلي بدنك ، فعمل القلوب هو روح العبودية ولبها ، وإذا فرغ عمل الجوارح من عمل القلب كان كالجسد الميت لا روح فيه ، وهل أتاك أيها الحبيب قول ابن عطاء رحمه الله وهو يقدر قيمة القلب . ويمجد عمله ؟ إن لم يكن أتاك ، فأنا آتيك به قبل أن يرتد إليك طرفك ، يقول رحمه الله : ما قل عمل برز من قلب زاهد ، ولا كثر عمل برز من قلب راغب ، وصدق ونصح ، فهل يستوي عملان : عمل خرج من قلب زاهد ، وأخر برز من قلب راغب ؟ لا والله لا يستويان .

أيها الطالب سفرا معنا إلي رياض ناضرة ، وحدائق مبهجة ، وقطوف دانية ، وآفاق عالية ، إن عدتنا لهذه الرحلة : قوة عزيمة ، وصدق رغبة ، وعلو همة ، يقول ابن القيم رحمه الله : والتقدم والسبق إلي الله إنما هو بالهمم وصدق الرغبة والعزيمة ، فيتقدم صاحب الهمة مع سكونه صاحب العمل الكثير بمراحل ، فإن ساواه في همته تقدم عليه بعمله .

والطريق أيها الأحباب مجربة ، فقد قطعها من قبل صالحون ، ومضى فيها مقربون ، وسار عليها أولياء لله وأتقياء ، وهؤلاء كتب لهم السبق لما طهروا القلوب ، وغسلوا الأرواح ، وعالجوا النفوس فعاشوا يتطهرون ، وماتوا طيبين ، فجاءتهم بشرى :- ﴿ ٱلَّذِينَ تَتَوَفَّىٰهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ طَيِّبِينَ ۙ يَقُولُونَ سَلَٰمٌ عَلَيْكُمُ ٱدْخُلُوا۟ ٱلْجَنَّةَ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾ [النحل:32] فالسر أخي هو القلب ، وطهارته شرط اللحاق بالركب ، والاستقامة علي الطريق ، والانتظام في الدرب ، ولهذا قال ابن مسعود ﷺ يخاطب جموع التابعين وقد رأي نشاطهم في عبادات الجوارح : أنتم أطول صلاة وأكثر اجتهادا من أصحاب رسول الله وهم كانوا أفضل منكم ، قيل له : بأي شيء؟ قال : إنهم كانوا أزهد في الدنيا وأرغب في الآخرة منكم .

وقبل أن ننطلق أيها الأحباب هذا تحذير وإنذار للمتخلفين ، فالمتخلف نادم ، والقاعد وراءنا خسران ، وسيسفر النهار غدا عن قائم لله وقاعد ، وكسول وناهض ، ولا يستوي الفريقان : من جاهد نفسه وركب معنا ، ومن غلبته نفسه وركب هواه ، وأذكر الكل بما قاله ابن القيم رحمه الله تعالي عن المتخلفين ، لعل رجلا يفيق من سباته ، ويصحو من غفوته ، ويودع أيام لهوه وغفلته ، يقول الإمام : والمتخلف في ظل الشجرة نائم ، فوالله ماكان الإ قليل حتي ذوت أغصان تلك الشجرة . وتساقطت أوراقها وانقطع ثمرها ، ويبست فروعها وانقطع مشربها . فقلعها قيمها من أصلها فأصبح أهلها في حر السموم يتقلبون ، وعلي ما فاتهم من العيش في ظلها يتحسرون ، أحرقها قيمها فصارت هي وما حولها نارا تلظي ، وأحاطت النار بمن تحتها ، فلم يستطع أحد منهم الخروج منها .

هذا حال المتخلفين أخي : انخدعوا بوهم . واغتروا بسراب ، حتي انكشف عنهم

الغطاء ولكن للأسف بعد أن فاتتهم الرحلة وغادرهم الموكب ، وسبقهم الركب ، فندموا طويلا وسألوا بحسرة عن الرحلة وأهلها فقيل لهم : ارفعوا أبصاركم تروا منازلهم ، فرأوهم وهم من البعد في قصور مدينة الملك وغرفها يتمتعون بأنواع اللذات ، فتضاعف عليهم الحسرات ألا يكونوا معهم ، وزاد تضاعفها بأن حيل بينهم وبين ما يشتهون ، وقيل هذا جزاء المتخلفين .. ﴿وَمَا ظَلَمْنَاهُمْ وَلَٰكِن كَانُوا أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾ [النحل:118] .

فاحذر التخلف وجدد النية . وصحح العزم ، واعلم أن رحلتنا هذه ستمر عبر رياض أربع إليك عناوينها:

- **الروضة الأولى : التوبة : ما أحلى الرجوع اليه.**
- **الروضة الثانية : الإخلاص : فليتك تحلو والحياة مريرة .**
- **الروضة الثالثة : الزهد : والآخرة خير وأبقى .**
- **الروضة الرابعة : الدعاء : لغيرك ما مددت يدا .**

فاستعد أخي واستعدي أختاه ، اربطوا أحزمتكم ، والزموا أماكنكم ، وانظروا أمامكم ، بدأ العد . فانطلقوا علي بركة الله ، معكم في هذا الرحلة ، الفقير إلي رحمة مولاه : السيد أحمد هنديه راجيا لكم رحلة ممتعة ، وأوقات نافعة ، وسعيا مشكورا ، وعملا متقبلا ، اللهم استجب .